

نموذج تصحيح امتحان شعر العربي المعاصر

إلى سيزيف - أدونيس

أَقْسَمْتُ أَنْ أَكْتُبَ فَوْقَ الْمَاءِ
أَقْسَمْتُ أَنْ أَحْمَلَ مَعَ سِيزِيفِ
صَخْرَتَهُ الصَّمَاءِ.
أَقْسَمْتُ أَنْ أَظِلَّ مَعَ سِيزِيفِ
أَخْضَعُ لِلْحُمَى وَلِلشَّرَارِ
أَبْحَثُ فِي الْمَاجِرِ الضَّرِيرَةِ
عَنْ رِيْشَةٍ أَخِيرَةٍ
تَكْتُبُ لِلْعُشْبِ وَلِلخَرِيفِ
قَصِيدَةَ الْغُبَارِ.

أَقْسَمْتُ أَنْ أَعِيشَ مَعَ سِيزِيفِ.

- النص - بين يديك - صورة مجسدة لبنية القصيدة المعاصرة.
أشِرْ إلى جَوْهَرٍ مَا تَقُومُ عَلَيْهِ مِنْ مَنْظُورٍ هَذَا الشَّاعِرِ الْمَجْدِدِ.

النموذج

تقديم (2 ن)

يعد الشاعر علي أحمد سعيد إسبر، أو أدونيس واحداً من كبار كتاب القصيدة المعاصرة التي انفتحت على أشكال من الإبدال تتجاوز خطوط العمود العربي، والبناء التفعيلي، إلى أنماط من الحضور، والممارسة الفنية التي اغتذت على نحو، أو آخر بتأول ابتداعي للموروث، و تفاعل معاصر مع المنجز الشعري العالمي في شعرياته، و تظاهراته الأسلوبية، و الرؤيوية، و باتت القصيدة العربية في تجلياتها تنمى كل لحظة مع أحدث ما تلقى به الرؤية الغربية، وإن هي اتخذت لدى بعض الشعراء مرجعاً فنياً يتأسس في رموزه، و محتواه على المعطى العربي، و إلى العصر، و الواقع، و ما يحدث فيه من مؤثرات تملى على الشاعر ذاته تلك الرؤية التي ينبثق عنها إحساسه، و تعبيره.

و على هذا الأساس يقيم أدونيس معمار القصيدة الجديدة، هذه القصيدة التي تحملُ وعياً مغايراً للنمط السائد، و لا تركزُ إلى النموذج الثابت، و ترى في آليات الهدم، و التجاوز و الاختلاف قاعدةً للتشكيل الفني، و هي تعتدُّ رغم ذلك بأدوات الصياغة الشعرية من تخيل، و ترميز و أسطورة، و تفجير للغة، و بناء للإيقاع الذي يتسع مداه ليستغرق فضاء الأصوات في النص جميعه، و لا يقف عند الوزن الخارجي وحده، بل تنهـى توقعاته متماثجة مع الشعور، مضيئة للبناء الدرامي في القصيدة، نصٌ يحملُ رؤياً للواقع، كما يحمل تصوراً للذات في صراعها مع هذا الواقع و تأبيها، و تشظيها في الآن ذاته.

البناء الإيقاعي الفضاء المعجمي والدالي الرمز والتخيل و مشهدية الصورة

(2 ن) قصيدة إلى سيزيف تحمل رسالة الشاعر الذي يتكبد مشقة البلاغ، و يتحملُ في سبيل موقفه الشعري كلَّ العقبات الكأداء التي تقف بينه، و الوفاء بتلك الرسالة، إنها رحلة إلى المستحيل، خطوات يذرعهـا الشاعر ليصل بينه، و من يتلقف قصيدته، و مضمونه بعماية و صمم، ثم هو يكابد و يكابد السنين و يتحدى كل الصخور الي ثقل كاهل سيزيف، و كل سيزيف حتى ينتهي إلى غايته الجاحمة، و الشاعر بهذه القصيدة ينتهي به تحديه و إصراره إلى أن يصبح الشقاء غاية في ذاته يصبح سيزيف المنتهى، و المقصد.

(4 ن) تتجلى قصيدة إلى سيزيف في بنائها متوافقة مع الشكل الأيقوني للقصيدة الجديدة من حيث تجافها لنظام النص التقليدي ذي الشطرين، بل يظهر إقصاء الشاعر للظاهرة الوزنية إلى حدّ إرسال الكلام على نحو يتنصل من التفعيلات العروضية التي نجدها نظاماً إيقاعياً في الشعر التفعيلة، و لا نكاد نعثر على المعيار العروضي فيما عدا بعض الأسطر التي لاحظنا استقامتها على تفعيلتي (مستفعلن فعلن) كما في (صخرته الصماء- عن ريشةٍ أخيرة- قصيدة الغبار) وقد أوحى ثابعتها على نحو ما يتابع إيقاعي، أو لازمة ناظمة لمجموع الأنساق الجمالية التي تشكل النص، و لئن شردت المقطوعة عن الوزن إلى النثرية في أسطرها فقد ساهمت

هذه اللازمة في منح القصيدة طبيعة الشعر متساوقةً مع التقفية التي التزمها الشاعر على غير اطراد، و لكن بتنوع في الفاصلة، أو الروي إن ساغ لنا ذلك (الماء/ الصماء - الشرار/ الغبار- الضريه/ أخيره) ، والواقع إن النص الجديد بدا فيه الشاعر غير ملحف على الوزن الخارجى مقدار إلحافه على بناء القصيدة على سنفونية تمتد إيقاعاتها عبر كامل النص، و تستنطق نغمها في الكلمات، و المقاطع ، و الفواصل، و الأصوات، والوحدات الكلامية جميعا فوق ما للوزن من طاقة الإيحاء بذلك الإيقاع، و ظاهرٌ من نص أدونيس توظيفه لبنية التكرار لتحقيق هذا التوافق الصوتي الذي يضيف للمعنى أثرا صوتيا تتجاوب أصداؤه لتحدث توقيعا في بناء القصيدة من ذلك التكرار التركيبي (أقسمتُ أن أكتب -أقسمتُ أن أحمل- أقسمتُ أن أظل، أقسمتُ أن أعيش)، و كذا تكرار السكون في كافة الأسطر عبر تقييد القوافي، والفواصل مما يمنح النص وحدة نغمية، وحرية للشاعر في تأليف الجملة الشعرية بما يوافق حالته الشعورية .

هذا وقد شاع في نص القصيدة توظيف حرفي الصفير (السين، والصاد، والزاي) ولعلَّ تفرغ هذا النص لعتبة العنوان " إلى سيزيف " ساق فضاءها النصي إلى توليد هذا النغم مع ما يحمله من دلالة للصاد على التجشم و التحدي (صخرته) و للسين على الضعف و ذهاب القوة (سيزيف) .

(3 ن) للطبيعة من معجم القصيدة نصيب مفروض فن حقله الدلالي يستمد الشاعر مفرداته محملة بطاقة الإيحاء فكلمات مثل (الماء- صخرة -العشب -الخريف) تنبئ عن توحيد الشاعر مع الكون و ووعيه المتأمل في أحوال هذه الطبيعة التي يعد الإنسان عنصرا منشطرا منها، ولكنه يظل بحاجة إلى التماهي مع أسرارها الكونية ، و قد اشتمل النص أيضا على حقل الكتابة عبر ألفاظ مثل (أبحث-ريشة-تكتب-قصيدة)، لتشي هذه المفردات بمضمون الكفاح المضني من أجل إثبات الذات المبدعة في أتون عالمٍ يتنكر للأقلام، وما تفضي به .

(3 ن) ينطق النص عن صوت الذات التي تجابه الواقع بثقله، و تعلن صرختها الراضية لأنظمتها البالية، وتظهر هذه الأنا في لغة القصيدة متكئة على نسق الأفعال ، و ووظائف التكرار التوكيدي لتستولي على حركة الجمل، و فضاء الصورة ، و تكشف عن صراع مستميت لإثبات الكينونة، و على نحو انزياحي ترسم تلك الصور التخيلية لتحقيق أغرب أنماط الفعل الإنساني في أحوال التحدي، والتعالي، و التسامي على الواقع (أكتبُ فوق الماء- أبحثُ في المحاجر الضريه عن ريشةٍ أخيره)، هذه الكُنَى في داعيها السرابي تودع في الذهن حالة الاندفاع، و الكد التي تسكن الشاعر، و تجعلُ منه سيزيفا جديدا يصطلي بجحمة الواقع، و يشتغلُ الرمز الأسطوري كما هو الشأن لدى عدد من كتاب القصيدة الجديدة ليستدعي الموروث من الثقافة الإنسانية في صورة حامل الصخرة المتسلق إلى القمة في الأساطير القديمة، هذه الأسطورة تأتي في نص أدونيس للتعالق في نسق جديد، و تمنح الصورة الكلية للقصيدة مشهدية نكتي على السرد بأفعاله المتواترة، والحكي باطراد أحداثه، فثمة تحملٌ للأثقال، وللشرار، و بحث في العيون و المحاجر، و هناك كتابة على العشب،

إذ إن القصيدة أو النثيرة كفاحٌ دائمٌ من الشاعر يحملُ عهداً، وميثاقاً يأخذه على نفسه ليؤسس وجوداً فاعلاً يستعلي على كل الكثببات والعقائيل ..

(2 ن) لقد حملت اللغة الشعرية في القصيدة دلالة جديدة للألفاظ تتجاوز سطحها اللغوي الساكن ، إن المحاجر الضريرة في سياقها علامة على قطاع من الناس لا تقرأ، ولا تعي ، وإن العشب، والخريف مظهران للقصر والشتات الذي يستولي على العالم ما لم تستثره صيحة الثائرين الذي ينفضون " الغبار" و ينفخون روح الحياة، والتوثب .

و من الدال في النص استغناؤه عن حروف العطف، وهي حروف وصل جامعة لأجزاء الكلام ، فلم يرد منها غير حرف واحد هو الواو في موضع واحد على أن النص لا يخلو من مظهر الاتساق الذي تأتى مع الإحالات اللفظية على الأسماء، والرموز، وعلى ما توزع ضمن الجمل الشعرية من ضمائر.

(2 ن) إنَّ القصيدة التي بين أيدينا في مظهرها لا تتكشف للقارئ بمدلولها لدى القراءة الأولى التي تقف عند حود اللفظ و معناه الحرفي وربما اعتور مضمونها الغموض الذي يظلل القصيدة الجديدة ولكن بها قرائن عدة من شأنها أن تفتق دلالاتها و تفك رموزها بدءاً من أسطورة سيزيف التي يستحضرها الشاعر ليدلل على مقصدية التحدي و المثابرة .

لئن تجاوز أدونيس بهذا النص، و غيره شروط النص القديم، و لَوَّح بأدوات جديدة لبناء القصيدة تشكيلاً و بناءً ، فإن شعرية هذا النص تحفلُ برؤيا تعبرُ عن مذهبه في اصطناع ثوبٍ قشيب يحاول الجمالية الشعرية على نحو من التجريب يعدُّ بالكثير و يؤسس لقصيدة عربية مخالفة و متجاوزة.

(2 ن) سلامة اللغة و المنهجية

د. سعد مردف